التجديد الديني والاجتماعي عند السيد محمد حسين فضل الله
(١٩٣٥-٢٠١٠)

م. ايـمن عـبد عـون نزال Aymanabd12@gmail.com
كلية القانون والعلوم السياسية/ جامعة ديالى
الكلمات المفتاحية: التجديد، السيد محمد حسين
Keywords: renewal, Sayyid Mohamed Hussain
تاريخ استلام البحث : ٢٠١٩/٨/١
DOI:10.23813/FA/80/19
FA-2019012-80H-230

ملخص البحث

مارست البيئة الدينية التي نشأ فيها السيد محمد حسين فضل الله دورا مهما كبيرا في إبراز شخصيته الدينية والسياسية والفكرية ، كما كان للتنشئة الاجتماعية أيضا دوراً كبير في بلورة شخصيته ، إذ كان فضل الله وليد مدرسة منفتحة عملت على إبراز مشروع نهضوي، ديني، واجتماعي، وسياسي ، اعتمد النقد الحديث من خلال المرجعية القرآنية، وتميّز بالحركية الميدانية والواقعية للمفهوم ، مما انعكس على شخصيته في طرح الموضوعات بجرأة، وانتقادها بشجاعة، وامتاز فضل الله بآرائه وأفكاره المستجيبة لنبض الواقع ، وهذا ما كان جليا من خلال الفكر التجديدي الذي طرحه وتبناه لإصلاح المؤسسة الدينية، محاولا إيجاد الحلول المناسبة والواقعية لإنهاء كلاسيكية هذه المؤسسة. وعدّ فضل الله العمل الاجتماعي والاهتمام به ، وطرح مشكلاته، والتوصل إلى الحلول الناجعة لهذه المشكلات جزءا أساسيا ومهما في عمل المرجعية، الأمر الذي دفعه لطرح العديد من الموضوعات الدينية الاجتماعية التي تخص الأسرة، والمجتمع ، والطفل، والشباب والمرأة ، بأسلوب حداثوي يواكب التطورات التي لحقت بالمجتمع العربي وعلى مختلف الجوانب.

The Religious and Social Renewal of Sayyid Mohammed Hussain Fadlulah (1935-2010)

Ayman Abdoun Nazal

Abstract :

The environment in which Sayyid Mohammed Hussain Fadlulah was brought up has focal role in manifesting his religious, political and intellectual personality. The social upbringing also has vital role in forming his personality as Fadlulah was the offspring of an open school which worked on demonstrating a renaissance, religious, social and political project. He adopted modern criticism via Quranic authority and was characterized by field mobility and reality of concept which was reflected in his personality in terms of teacling topics with audacity and criticizing them with courage and bravery.

Moreover, Fadlulah was characterized by views and thoughts which were concordant with reality. This was crystal clear through the renewal thinking he submitted and adopted to reform the religious institution trying thus to find out suitable and realistic solutions to put an end to the conventionality of this institution. Fadlulah regraded social labor and paying due attention to it, putting forth its problems and finding effective solutions to these problems an integral and significance part in the work of religious authority, an issue that made him put forth many religious and social issues which are of relation to family, society, children, youths and women.

المقدمة :

تُعد دراسة الشخصيات ذو البعد الفكري والاجتماعي والسياسي من أهم المقتربات العلمية لتحليل ما لازمها من حوادث انعكست على الواقع الاجتماعي المعاصر، وفهم الظواهر الاجتماعية والثقافية والمشكلات الدينية، التي تترك اثرها على تطور المجتمعات.

ولقد كان موقع السيد محمد حسين فضل الله الريادي فكراً وعملاً مرتبطا بدوره الذي انخرط فيه على صعدٍ متعددة: دينية، واجتماعية، وثقافية، وسياسية، هذه الادوار التي ارتبطت بشعوره العالي بالمسؤولية الأخلاقية والإنسانية والدينية إزاء مجمل الحالة العراقية، واللبنانية، والعربية، والإسلامية، التي أصابها التردي والتخلف والأزمات الحادة، إذ كان مرتبطاً بهموم مجتمعه وامته. ولهذا ستكون لدراسته كشخصية اجتماعية ودينية أثرت كثيرا

في المجتمع العربي عامة، والمجتمع اللبناني خاصة، ذات نتائج فاعلة في فهم وتفسير العديد من الظواهر الدينية والاجتماعية التي ظهرت في المجتمع العربي في عصر فضل الله، ومازالت قائمة حتى اليوم .

إشكالية البحث :

في ضوء هذا الدور فان الإشكالية التي يبحث فيها هذا البحث هي تقصي مواقف السيد فضل الله حيال عدد من الأسئلة، التي طرحها الواقع الديني والاجتماعي العربي والإسلامي، هذه المواقف الكاشفة عن طبيعة الوقائع الدينية وأثرها الاجتماعي، التي اقترنت بتلك الصُعد، وسيتم تناول مواقف فضل الله عن كل هذه الاسئلة.

فرضية البحث :

ينطلق البحث من فرضية أساسية مفادها، أن السيد فضل الله امتلك رؤيا فكرية ومواقف دينية اجتماعية تجاه مجمل التطورات التي أحاطت به عراقيا، ولبنانيا، وعربيا، وإسلاميا ، واتسمت هذه الرؤى والمواقف بالتجديد والحداثة، وكانت أقرب إلى معالجة حقائق الواقع، حتى انه لُقب بالمجدد.

منهجية البحث :

اعتمد البحث على المنهج التاريخي والتحليلي، بعدّهما مجموعة من القواعد والأسس المنهجية التي تتعامل مع المعطيات التاريخية، وتجعلها في خدمة المجتمع. يُعرّف الدكتور محمد جلاء إدريس المنهج التاريخي بأنه (الطريقة التاريخية التي تعمل على تحليل وتفسير الحوادث التاريخية، كأساس لفهم المشاكل المعاصرة، والتنبؤ بما سيكون عليه المستقبل) (محمد جلاء إدريس ، ١٩٩٨: ١٢٤ - ١٢٥). اما المنهج التحليلي فانه يقوم على علميات ثلاث: التفسير والنقد والاستنباط، وقد تجتمع هذه العمليات كلها في سياق بحثٍ معيّن، او قد يُكتفى ببعضها عنها، وذلك بحسب طبيعة البحث، ويسعى النقد الى تبيان الجوانب الايجابية والسلبية في عملية صناعة الحدث، وأخيراً يأتي دور الاستنباط لبناء هيكل نظري على اساس ما دُرس من ظواهر وتعميمها لتشكل أداة يُستفاد منها في تحليل قضايا أخرى(فريد الأنصاري،١٩٩٧:٩٦). وباعتماد هذين المنهجين، تحاول هذه الدراسة، دراسة وتحليل النصوص الفكرية، والمواقف العلمية للسيد فضل الله، في ضوء التطورات والاحداث الدينية والاجتماعية التي تصب في خدمة المجتمع.

المبحث الأول: الولادة والنشأة للسيد محمد حسين فضل الله وعوامل التجديد المؤثرة فيها

إن للمحيط الاجتماعي والأسري بما له من مؤثرات مباشرة في شخصية الفرد الذي يعيش في وسطه وبين ثناياه، دورا مثمرا في بناء شخصيته، وغرس القيم الإنسانية والعلمية والحضارية الرفيعة. حيث يسهم ــ أي المحيط الاجتماعي ــ في تشكيل أنماط سلوكية تنعكس على حركية الفرد، وتنمية مداركه المجتمعية ، وطبيعة التعامل مع الآخر في

المستقبل، خاصة إذا أجادت الأسرة تطوير مهارات الفرد من خلال لغة التوجيه والنصح، دون استخدام الأنماط القسرية في التنشئة الاجتماعية، التي تؤدي إلى بناء شخصية مشحونة بالتوتر النفسي والاجتماعي.

أولا: الولادة والنشأة للسيد محمد حسين فضل الله

ولد السيد محمد حسين فضل الله في النجف الأشرف بالعراق، في ١٩ شعبان ١٣٥٤هـ ـــ ١٩٣٦م، (١٥ تشرين الثاني ١٩٣٥م)، توفي في ٤ تموز ٢٠١٠م، والده السيد عبد الرؤوف بن السيد نجيب الدين بن محي الدين، أحد المراجع الدينية في جبل عامل جنوب لبنان وقتئذ، والدته الحاجة رؤوفة ابنة المرحوم حسين بزي، من بلدة بنت جبيل في جنوب لبنان. جاءت التسمية المركبة (محمد حسين) نسبة إلى تقاليد عربية قديمة، وتعبيراً عن المحبة والتبرك باسم النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وأهل بيته الأطهار(علي حسن سرور، العلامة، ٢٠٠٤: ١٩).

تتلمذ السيد فضل الله على يد والده منذ بداية دراسته التقليدية في النجف الأشرف في العراق، وكان عمره احدى عشر سنة، حتى اكمل عنده ما يسمى في المصطلح الديني بـ(المقدمات)(*)، ودراسة(السطوح)(*)، ودرس اللغة العربية، في النحو والصرف والمعاني والبيان، كما درس عنده ـ أي عند أبيه ـ المنطق والأصول والفقه ، ثم درس السيد فضل الله ما يسمى بـ(البحث الخارج)(*)، عند أعلام الحوزة العلمية، وكبار علمائها ومراجعها ، أبرزهم: (السيد أبو القاسم الخوئي، والسيد محسن الحكيم). ولقد تأثر السيد فضل الله بالأجواء التي عاشها في النجف الأشرف، خاصة العلمية منها، والأدبية، وازداد تفاعله معها. ويمكننا تصور طبيعة علاقة السيد فضل الله مع أساتذته ، وكيف كان يحثونه على الاجتهاد والتفكر، وبناء شخصيته العلمية ، بقول احد أساتذته له : "عليك ان تجهد نفسك في كل كتاب تدرسه، بان تفكر في ان تناقش صاحب الكتاب"(نزار محمد جودة، ٢٠١١: ٢٩).

حصل السيد فضل الله على مرتبة الاجتهاد، وهو في الرابعة والعشرين من عمره(علي حسن سرور، ٢٠٠٤ :٤٩). واصبح يدرس في حوزة النجف لمرحلة المقدمات والسطوح، وكان أغلب طلابه من العراقيين واللبنانيين والسوريين وغيرهم. شارك السيد فضل الله بالعديد من النشاطات الثقافية في النجف الأشرف، وأُنتُخب عضواً في المجمع الثقافي لمنتدى النشر. ويُعد السيد فضل الله من الأوائل الذين شاركوا في نشأة الحركة الإسلامية المعتدلة في العراق، ذلك من خلال قيامه في العديد من النشاطات والفعاليات، التي كانت تدلل لظهور حركة إسلامية معتدلة لا تؤمن بالخرافة والمبالغة ، وكان برفقته في كل ذلك الوقت (الشيخ محمد مهدي شمس الدين و السيد محمد باقر الصدر)، وبهذا الصدد يقول السيد فضل الله:

---

* المقدمات: هي المرحلة الأولى في الدراسة الحوزوية ،يدرس فيها الطالب قواعد اللغة العربية، والبلاغة، والمنطق، وتتراوح مدة الدراسة فيها من ثلاث إلى خمس سنوات، (شبلي الملاط، ١٩٨٨: ٥٥).

* السطوح : هي المرحلة الوسط بين المقدمات والبحث الخارج وهي مرحلة تكميلية للمقدمات يدرس فيها الطالب علم اصول الفقة وعلم الفلسفة، (أسامة البصري،١٩٩٣ :٣١).

* البحث الخارج: هي المرحلة الأخيرة من الدراسة في الحوزة العلمية ، سميت بالخارج لأن الدراسة فيها تتم خارج نطاق الكتب المقررة التي يعتمدها الأستاذ في تدريس مادته في مرحلة البحث الخارج، وهي شبيهة بمرحلة الدراسات العليا في الدراسة الأكاديمية، (محمد الحسيني، محمد باقر الصدر، ١٩٩٩: ٤٨).

"كنا نلتقي ونخطط معاً، لولادة حركة إسلامية جديد في الواقع الإسلامي". واصدر فضل الله كتابا بعنوان (قضايانا على ضوء الإسلام)، أهتم فيه بالتجديد الديني والاجتماعي والفكري والسياسي، وهوما يؤكد نمو الفكر عند السيد فضل الله في بيئة تتميز بالوعي والطموح.

ثانيا: مؤثرات المحيط الاجتماعي في شخصية السيد فضل الله

يمارس الوسط الاجتماعي تأثيره الكبير في شخصية الفرد، حيث يترك أثراً بالغاً في صياغة بنائه الثقافي والفكري على المدى البعيد، ومهما كانت حصانته الأسرية، فلابد من أن يتأثر بالثقافة البيئية التي تحيط به .

لقد تأثر السيد فضل الله بنوعين من البيئية الاجتماعية التي تركت أثرها في بناء شخصيته، وجعلت منه الرجل المنفتح على الواقع الذي يعيش فيه، والمجتمع الذي يخالطه، لينعكس ذلك كله في انفتاحهِ الفكري، ومرونته العقائدية في التعامل مع العلوم الإسلامية، والقضايا الاجتماعية والسياسية.

النوع الأول: بيئة النجف الأشرف، التي أكسبته حالة من الاصالة والتعمق في فهم الهوية الحضارية، والانتماء الإسلامي المعتدل.

النوع الثاني: بيئة لبنان (التي انتقل إليها فيما بعد)، وبوصفها وسطاً متنوعاً منفتحاً، يتبنى أنواعا متعددة من الثقافات والاتجاهات الفكرية والاجتماعية والسياسية، تركت تأثيراً كبيراً في شخصية السيد فضل الله، انعكس من خلال تعامله مع الآخر، رغم اختلاف توجهاته، وطروحاته، وأفكاره.

- **أثر البيئة النجفية في بناء شخصية السيد فضل الله**

تعد النجف مركزاً حيوياً للحركة العلمية والأدبية، ومن خلالها انتشرت العديد من حركات النهضة والإصلاح التي تبنت تلبية حاجات المجتمع (نزار محمد جودة، ٢٠١١ :٥٤)، حيث واكب فيها السيد فضل الله العديد من حركات الاستقلال، وتأسيس المنتديات والتجمعات الثقافية فيها. الأمر الذي جعله يهتم بكثرة القراءة والمطالعة، حتى انه كان يهتم بمطالعة الصحف العربية التي تناول التطورات السياسية والاجتماعية، وتلك التي تصدر لكبار الأدباء والشعراء، منها مجلة (الكاتب) التي كان يصدرها الأديب (طه حسين)، وقراءته لأهم الكتاب والمؤلفين أمثال جبران خليل جبران، وسيد قطب. فضلا عن القراءة لأدباء ومفكرين غربيين، أمثال (جان جاك روسو)، وتراجم الأديب الإنكليزي (شكسبير)، والدراسات المترجمة عن أدب وحضارات وديانات الأمم الأخرى(إسماعيل خليل، ٢٠٠٣: ٥٨-٥٩).

إن التنوع في قراءات السيد فضل الله، واطلاعه على الفكر المغاير، أغناه ثقافياً، وأمكنه من خلق اتجاهات فكرية وثقافية وسياسية جديدة، وسط البيئة النجفية. الامر الذي نتج عن انتخابه عضواً للمجمع الثقافي لمنتدى النشر والصحافة، وأتاحت له الفرصة ليكتب العديد من البحوث والدراسات، منها ما تناول من خلالها مشكلة الأدب النجفي حصرا (سليم الحسني، ١٩٩٥ :١٢٣). كما امتاز السيد فضل الله بقدرات فكرية وثقافية أهلته لفهم الواقع

بشكل أوسع، حتى أنتخب للكتابة في مجلة الأضواء(*)، وكان يكتب افتتاحيتها بعنوان (كلمتنا). وبدءاً من عددها الثاني توالت كتابات السيد فضل الله في النجف الأشرف في مختلف الميادين، حتى ألّف كتابه الشهير (أسلوب الدعوة إلى الله) (حسن إبراهيم شبر ،١٤٢٣ هـ :٢٤٤).

من خلال ما تقدم يمكننا القول: إن لمواقف السيد فضل الله، وتحركاته، ونشاطاته، آثارا واضحة في الساحة النجفية، دينياً واجتماعياً وسياسياً ، وإن تجربته في النجف، ومعاصرته لأهم التطورات التي شهدتها الساحة العراقية على المستويين الديني والسياسي، قد أثرت وبشكل كبير في منحى خطابه الديني والسياسي والاجتماعي، ليرتقي به خطاباً إنسانيا، متجاوزاً كل حدود الفئوية والطائفية، وهذا ما سيتضح جلياً في ما سنتناوله في البيئة اللبنانية، حتى ان البعض من العلماء كانوا قد عدوا انتقال فضل الله الى لبنان خسارة للبيئة النجفية.

- **أثر البيئة اللبنانية في تكوين شخصية السيد فضل الله**

تنحدر عائلة آل فضل الله ــ كما ذكرنا سابقاًــ من بنت جبيل في جنوب لبنان، وإن كان السيد محمد حسين فضل الله يَعد نفسهُ عراقياً، لأنه ولد وعاش طفولته وشبابه في العراق، إلا أن لبنان كان البلد الذي يشعر بالانتماء إليه (نزار محمد جودة،٢٠١١:٦٩)، يضاف إلى ذلك الإحساس العميق لدى السيد فضل الله بأن النجف الأشرف لم تعد تحتوي مساحته التي يود من خلالها الانفتاح على العالم الإسلامي، وهي مهمة شاقه لا يختارها، إلا من يؤمن بأن الأمر مسؤولية إسلامية لا بد وأن يضطلع بها، وأن يقوم بمسؤوليته تجاهها، لما تحتويه من تمثيل حقيقي للذات المسلمة.

كانت الزيارة الأولى للسيد فضل الله إلى لبنان في صيف عام (١٩٥٢) ، للمشاركة في إحياء أربعينية عالم الدين السيد محسن الأمين، والقى فيها فضل الله كلمة وقصيدة شعرية، دعا من خلالها إلى الوحدة الإسلامية، وقد ضم الحفل آنذاك عدداً كبيراً من كبار العلماء والكتاب والشعراء. ثم سعى فضل الله لإقامة حوارات داخل الوسط اللبناني، من أجل التعرف بشكل حقيقي على ذاك الواقع. كما وأطلع عن كثب على أهم التعقيدات اللبنانية (الدينية والاجتماعية والسياسية)، ليتمكن بعد ذلك من وضع برنامج مناسب للعمل، وتسيير خطوات تمكنه نحو تحقيق اهدافه.

انتقل السيد فضل الله عام (١٩٦٦) إلى لبنان ليقيم في منطقة النبعة بضاحية بيروت الشرقية (علي حسن سرور، ٢٠٠٤:٤٥)، وفيها عمل على إرساء دعائم الوحدة في كافة خطاباته، وندواته ، وكلماته، ولقاءاته التي كان يلقيها في مختلف المحافل الدينية، والسياسية، والاجتماعية، التي كانت مشحونة بالعاطفة مؤكداً على وحدة الصف الإسلامي، مستنداً في ذلك إلى وقائع تاريخية أصيلة، وأن الأمة المسلمة تضم الشيعة والسنة على السواء، مادام كل منهما ينطق بالشهادتين فهو منتمي إلى هذه الأمة، وكان السعي نحو ردم الهوة الناشئة

* مجلة الاضواء: هي مجلة اسلامية اصدرتها جماعة من العلماء عام (١٣٨٠ه) الموافق (١٩٦١م)، كانت تهدف لعميق البناء العقائدي والتربوي والفكري لمواجهة التيارات الالحادية، كان ابرز اعضائها السيد (محمد باقر الصدر) و (محمد مهدي شمس الدين)،(علي حسن سرور، ٢٠٠٤: ٤٩).

بين السنة والشيعة عن اختلافات عقائدية محوراً رئيساً في كل خطاباته، يهدف من خلال تسليط بؤرة الضوء ذلك على المبادئ الأساسية التي توحد المسلمين في شؤون العقيدة، ومصيرهم المشترك كشعوب مستضعفه تواجه تحدي الاستكبار العالمي، ولمعرفة فضل الله الجيدة بماهية هذه الخلافات، فانه كان يدعو إلى دراستها بدقة وبموضوعية من قبل رجال دين مؤهلين في غرف مغلقة، حتى لا تشغل أذهان عامة الناس (محمد حسين فضل الله ،٢٠٠١: ٩٦-٩٧).

يُحمّل فضل الله بعض الحركات الاسلامية مسؤولية ضرب الوحدة الإسلامية، التي يصفها بأنها نمت في المحيط الإسلامي المعقد، واستهلك كل فريق منها وقته في تأجيج الأحقاد التاريخية والمذهبية، مما ولّد أحكاما سريعة مرتجلة في ما تمثله مسألة التعصب والتكفير، شكلت خطاً تراجعياً أمام ما طرحه الكثير من العلماء بخصوص فكرة الوحدة الإسلامية وأهميتها . كما وعمل على خلق جو واسع من الحوار مع التيارات السياسية المختلفة، خاصة اليسارية منها، محاولاً التعريف بالإسلام السياسي الذي يجب أن يكون منفتحاً على الحياة بكافة جوانبها ، وعدّ فضل الله أن ما يواجهه المسلمون من تحدٍ سياسي في الواقع الدولي من جهة، ولموقع البلدان الإسلامية، وأهميتها الجيوسياسية، وما تتمتع به من خيرات وثروات من جهة أخرى ، جعلها تعاني ولفترات طويلة من ظلم الأنظمة الاستكبارية (محمد حسين فضل الله ،٢٠٠١: ٩٩-١٠١).

ثالثا: السمات الفكرية التي امتازت بها شخصية السيد محمد حسين فضل الله

إن المتتبع لمسيرة السيد محمد حسين فضل الله يجد وبكل وضوح أن الانموذج الفكري الذي تميز به، يتمتع بسمات خاصة لا يشترك معه وفي بعضها إلا العدد المحدود من المفكرين والفقهاء النهضويين في الأمة الإسلامية. وستكون وقفتنا الآتية عند أهم هذه السمات:

١- الانفتاح الاجتماعي والفكري الذي عاشه فضل الله

كان لطبيعية الاحداث وتسارعها التي شهدها وعاصرها السيد محمد حسين فضل الله في صغره في النجف الأشرف دور كبير في تكوين شخصيته المستقبلية، سواء على مستوى الحوزة العلمية ــ قد تطرقنا لهذا آنفا ــ أم على مستوى الأحداث الاجتماعية والسياسية التي شهدها العراق والمنطقة آنذاك. رافق السيد فضل الله أثناء دراسته في النجف كلا من (السيد محمد باقر الصدر، والسيد محمد مهدي الحكيم، والشيخ محمد مهدي شمس الدين، والسيد محمد باقر الحكيم). وأبرز ما تميزت به هذه المجموعة هو اهتمامها بالعديد من الجوانب الاجتماعية والسياسية، وعدم اقتصارها على الدينية والفكرية منها فقط، في ذلك المفصل التاريخي الخطر الذي كانت فيه البلاد العربية تغلي بالتطورات السياسية والاجتماعية المتلاحقة، كالقضية الفلسطينية، وما يقابلها من اصطفافات وحدوية في ظل انقلابات عسكرية شهدتها العديد من الدول العربية (حيدر حب الله، الإسلام بين وهَّم النخبوية وأزمة الجماهير، ٢٠١٤)، متمثلة بانقلاب سوريا (١٩٤٩)، ومصر(١٩٥٢)، وثورة الجزائر(١٩٥٤)، والعدوان الثلاثي على مصر (١٩٥٦)، وثورة عبد الكريم قاسم في

العراق (١٩٥٨)، وما تخلل هذه السنوات من أحلاف دولية، منها حلف بغداد، ونزول القوات الأجنبية في لبنان والأردن (١٩٥٨)، الأمر الذي جعل من العراق ولبنان موقعين لصراع دولي (روسي – أمريكي) من جهة، وصراع عربي (سعودي – ناصري – هاشمي) من جهة أخرى. وفي خضم الصراعات التي شهدتها المنطقة بشكل عام، والعراق بشكل خاص كانت النجف قد دخلت في نهضة ثقافية وسياسية، في الوقت الذي كانت فيه الأجواء العربية الملتهبة حافزاً للسيد فضل الله للبحث عن أطر اسلامية جادة تلبي حاجات الأمة وتطلعاتها، وتمكّنها من النهوض بأعباء المرحلة، عبر طرح الاسلام كعلاج أمثل للازمات الاجتماعية والسياسية، في مقابل التيارات الفكرية الأخرى.

٢- النهج القرآني الذي تبناه فضل الله في النقد الحديث

إن أهم ما تميز به فضل الله هو جرأته على النقد الحديث والبنّاء، وهذا ما كان واضحا في الكثير من كتاباته، وأقواله، ومواقفه بهذا المجال، ويرى العديد من الباحثين المعاصرين ومنهم الباحث الإسلامي (حيدر حب الله)، أن السيد محمد حسين فضل الله كان يقدم القران الكريم على غيره من مصادر المعرفة نظرياً وعملياً، ليس لأنه مفسر قرآني فحسب، بل لأن مدرسة المنظومة الاجتهادية التي درس فيها وعاش أجواءها جعلته يؤمن بأن النص القرآني نص يُحتكم إليه، للابتعاد عن الإشكالات والالتباسات التي تعيشها الأمة الإسلامية بشكل خاص، فضلا عن أن في ذلك ما يمنع الارتباك في حيثيتي الدلالة والصدور، مقارنة بالحديث الشريف، الأمر الذي مكّنه من ايجاد أعداد كبيرة من الأحاديث المخالفة للقران الكريم، والعقل أو الوجدان، فالسيد فضل الله عدّ الروح القرآنية أحد أهم الوسائل التي يمكن من خلالها نقد الأحاديث المروية، منطلقا بذلك من نظريته (المعارضة للقران الكريم)(حيدر حب الله، الإسلام بين وهَّم النخبوية وأزمة الجماهير، ٢٠١٤). أي أن هذه الأحاديث تعارض النصوص القرآنية.

٣- فهم الواقع وحركية العمل التي تميز بها فضل الله

تميز السيد فضل الله بالحركية رغم حداثة سنه داخل المؤسسة الدينية أو خارجها في النجف الأشرف، اذ كانت السمة الواضحة لشخصيته المستقبلية، لذا قد يكون من السهل أن نجد طالبا يدرس العلوم الدينية في بداية عمره وهو يعيش الفكر في رحابته وعمقه ودقته، لكن من الصعب أن نجد مثل هذا ونجد معه حركتيه وفاعليته في الحياة الاجتماعية والسياسية في ذات الوقت. وكان لابد لمرجع التقليد الذي يتصدى للمرجعية وقيادة الأمة من إحراز شروط منها (البلوغ، الذكورة، طهارة المولد، تحقيق العدالة، الاجتهاد). حيث استطاع السيد فضل الله ومجموعة من زملائه من إضافة شروط جديدة لمرجع التقليد منها:

أ- الشجاعة : أي على المرجع أن يكون حاضرا بقوة في كافة أدبيات الإسلام، الدينية والاجتماعية والسياسية.

ب- بساطة البحث : حيث عدها شرطا آخر يجب توفره في مرجع الاجتهاد والتقليد، وهو شرط عيش الحياة واقعياً، لا أن يعتزلها.

ج- مطالعة النص : أن يكون المرجع مطالعا للنص وهو يسير في عمق الواقع الذي سيلقي بضلاله على النتائج الفقهية النهائية في مقام إصدار الفتوى، إذ اعتقد أن الواقع والفتوى

وجهان لعملة واحدة، وأن اكتفاء الفقيه بالبحث عن الأصول والأدلة دون أن يعيش الواقع ويكون حركياً ليفهم النصوص نفسها كونها جاءت للإجابة عن الواقع نفسه، سيقود لفهم خاطئ لتلك النصوص، تترتب عليه نتائج فقهية غير صحيحة في أغلب الأحيان، وهذا ما كان واضحا عند السيد محمد حسين فضل الله عندما اصبح مرجعاً ، تمكن من ممارسة العمل السياسي والاجتماعي، وتكوين مرجعية الحضور والتواصل في ذات الوقت (حيدر حب الله، ٢٠١٤).

٤ـ شجاعة الموقف وجرأة الفتوى التي تحلى بها فضل الله

للمحيط الديني الذي عاش في كنفه السيد فضل الله طفولته، أثر بالغ في تكوين شخصيته التي امتازت بالشجاعة والجرأة ــ وهذا ما كان نتيجة للظروف والتطورات التي سبق ذكرها، لتجعل منه واحداً من رجال الدين تميزوا بالجرأة في اطلاق موقف ما، تجاه حدث ما، يستوجب منه ذلك، إذ اتسم بوضوح الرؤيا في إصدار الفتوى، واستطاع وبشجاعة تقديم مجموعة كبيرة من الفتاوى الجريئة، منها ما يخص المرأة، والشباب، والكثير من القضايا الاجتماعية والدينية، وقيامه بمراجعة للتراث الاسلامي ونقده لكل مواطن الضعف نقداً عليماً، وإصداره العديد من النصوص التي تشكك بالروايات الضعيفة، التي يعتقد أن غلاة الدين سربوها إلى الفكر الإسلامي. والتي صعُب على من قبله ومعاصريه من رجالات الدين والمرجعيات، التنبؤ بها أو إصدارها أو البت فيها. منطلقا بتلك الفتاوى من ميدان قضايا الناس بشكل واقعي، لا من مجال التوازنات المعتادة داخل الأجواء الإسلامية والدينية، وكان ما يميز تلك الفتاوى، البيان والإبراز لا التعمية والإخفاء، وهو ما عبر عنه بقوله: "علينا أن نواجه قضايانا وأفكارنا بالنقد والشجاعة والجرأة قبل ان ينقدها الأخرون" (نجيب مروة ،١٩٩٨: ٨).

آمن السيد فضل الله بأن الفقيه محقا في الاحتياط لنفسه قدر ما يريد، ولكن الأمر قد يكون مختلفا عندما يصبح مرجعاً ويتصدى للمرجعية العامة ، فيُحتّم عليه هنا أن يملك وضوحاً في الرؤية وفي الطرح، والاستعانة والاستئناس بالمشورة والرأي الآخر من خلال عرضها على الآخرين، لأن الموضوع عنده سيصبح موضوع مجتمع وأمة لا موضوعاً شخصياً، انطلاقا من أن الفقيه والمرجع ملكا عاما للمجتمع والأمة ، وليست الأمة ملكا شخصيا له (حيدر حب الله، ٢٠١٤). من خلال ما تقدم يمكن القول بان السيد فضل الله استطاع ان يفرض واقعاً جديداً لرجل الدين الاجتماعي، اذ لم يقف عند حد ما وصل اليه من سبقه من العلماء فيما يخص قضايا المجتمع، خاصة تلك التي كانت تتبدل نتيجة التطور الحاصل في المجتمعات الاخرى، وتأثير تلك المجتمعات على البيئة الاسلامية، اذ وجد من الضروري احاطتها ودراساتها وايجاد صيغة مناسب لأفهام المجتمع بكيفية التعامل معها، وهوما حتم عليه اضافة شروط جديد لمن يتصدى لزعامة الامة، التي اشترط من ضمنها الشجاعة، لما لها من اهمية في مواجهة التسابق الفكري والاجتماعي المتسارع. كما واشترط البساطة بالتعامل مع المجتمع ومخاطبته وتوجيهه من خلال الواقع الذي يعيشه، فضلاً عن خلق مساحة كافية من الانسجام معه لضمان عدم الفهم الخاطئ لتلك التوجيهات.

المبحث الثاني: دور السيد محمد حسين فضل الله دينياً واجتماعياً

امتاز السيد محمد حسين فضل الله بنزعة تجديدية في طرح الموضوعات الدينية، فقد كان تواقا للتجديد ومقارعة التقليد، والجمود، وتفرّد عن غيره بتحدّيه للممنوعات والمحظورات التي ليس من الضرورة على الفقيه أو المرجع التحدث بها أو بيان رأيه وتصوره تجاهها، حيث عدّ (كل تجديد إبداع)، وعمل على ترسيخ حركته التجديدية بالشكل التدريجي، مستعملاً التفكيك البطيء من الداخل لكل ما اعتقد بخطئه أو بطلانه. كما اعتمد في حركته التجديدية على البحث المعرفي والعلمي من اجل الوصول للحقائق، وإعادة النظر في المسلّمات التي اعتادها الناس من دون تمحيص الفكر في البعض منها، وهذا ما جعل من مرجعيته وقيادته ذات مكانة جماهيرية واسعة وقريبة من الناس ، ومن الكوادر الحزبية والسياسية وشباب المقاومة، وهو في ذلك لم يكن كغيره من العلماء، وبعض المراجع، الذين ظلوا يقيمون الحواجز فيما بينهم وبين عامة الناس، تحت عناوين عدة، منها حفظ هيبة وخصوصية المرجعية. اذ عمل السيد فضل الله على صياغة مشروع نهضوي حضاري يشارك فيه المسلمون كافة، كلاً حسب موقعه، على أسس طرحها والتزمها في مسيرته ، داعيا من خلالها الى التجاوز والابتعاد الكامل عن مظاهر الخلاف والتشرذم وهي كما يلي:

أولا: التجديد الديني عند السيد محمد حسين فضل الله

احتلت قضية التجديد الديني موقعا مهما في فكر السيد فضل الله، ورغم تعدد النظريات والأفكار حول هذه القضية ، ودورها في الحياة العصرية، وأهميتها الاجتماعية، إلا أن الذين ساروا في خطها التجديدي هم من القلة. سعى السيد فضل الله الى الانفتاح والحوار من أجل الوضوح في عملية التجديد، وكان يرى أن الحياة بسيطة بقدر ما يتقبلها الناس على بساطتها. ورأى أيضا أن عملية الاجتهاد يمكن أن تخضع للتجديد، من أجل إعطاء الفرصة لانتقاد التجارب الفكرية أو الفقهية السابقة في فهم الإسلام ، في محاولة جديدة لفهم يكتشف عناصر الخطأ في الفهم السابق (غسان بن جدو، ٢٠٠١: ٢٤)، ولربما إذا ما دققنا النظر بشخصية السيد فضل الله، فأننا سنتعرف على طروحاته التجديدية مُذ كان في النجف الأشرف، وهو في بداية طروحاته التجديدية داخل أوساط الحوزة العلمية آنذاك. واتضح شيء من ذلك عندما بدأ بكتابة الشعر، حيث واجه معضلة كبيرة عندما تعرض لانتقاد بعض علماء النجف، بسبب ما كان ينتجه في هذا المجال على مستوى الكتابة والقراءة، وحضوره للمهرجانات الشعرية، حتى أن البعض منهم عرض عليه إما الاستمرار في المجال الشعري أو التفرغ للدراسة الدينية، إلا أنه رفض ذلك الخيار بما لديه من قناعة، فاستمر في دراسته الدينية إلى جانب استمراره في نظم الشعر، بعد استشارته لعمه السيد (محمد سعيد فضل الله) الذي كان وقتها أحد علماء النجف، مشيرا عليه الاستمرار في كتابة ونظم الشعر، ليصل بذوقه الأدبي والفكري إلى فهم أعمق للنص الديني والاجتهاد الفقهي. (محمد الغروي ، ٢٠٠٨: ٧٣٢).

أعلن فضل الله التصدي للمرجعية عام ١٩٩٧، وساهم في الانخراط بالنقاش الدائر داخل الأوساط المرجعية في العديد من الدول، حول المرجعية (طبيعتها، حدودها، مستواها، علاقاتها)، وطرح مشروعه التجديدي بهذا الخصوص، وأطلق عليه اسم (المرجعية

المؤسسة)، وبهذا يكون أول علماء الدين الذين طرحوا فكرة أن تكون المرجعية مؤسسة، دون أن ينفرد بها عالم أو مرجع معين. شارحاً ذلك وبشكل تفصيلي. فهو يرى أن المرجع يجب أن يكون على رأس مؤسسة تحتوي على مجموعة من الدوائر، تقدم له كلٌ منها حسب الاختصاص، الرأي السياسي والاجتماعي والديني والاستشارات في مختلف جوانب الحياة(سليم الحسني، ١٩٩٨ :٦٥).

عمل السيد فضل على ضبط منهجية عمل المرجعية، ومواكبة التطورات الحاصلة على المستوى الديني والاجتماعي والسياسي . لذلك سعى إلى محاولة ابعاد المرجعية عن الصفة الشخصية، الأمر الذي يضفي بقاء المرجعية قائما حتى لو مات المرجع، فضلا عن أنها ستوفر للمرجع الجديد دعائم جديدة من اجتهادات المراجع الذين سبقوه، تكوّن رصيده الاجتهادي في تصديه المستقبلي، ومحاولة تخليص المرجعية من حالة الانكفاء والتقليدية ،التي جعلتها بعيدة عن الاهتمامات السياسية، والاجتماعية، والحياتية لعامة المسلمين. ولربما انطلق السيد فضل الله في دعوته التي حملت عنوان (المرجعية المؤسسة) من حالة البابوية التي يعبر عنها بقوله: "إني اجد نموذج البابوية التي تنطلق بصفتها الدينية الشاملة نحو المواقع السياسية والثقافية والاجتماعية وهي تتحرك في ذلك من خلال ممثليها بشكل أكثر فاعلية في كل المستجدات التي تشهدها البلدان، خاصة التي يكون للمسيحيين وجود فيها، فهي تتحرك بهذه الممثليات من خلال المؤسسات التي ترتبط بها في كل الواقع العالمي، مما يجعل من المسيحية قوة معنوية تطل على كل مواقع العالم، الأمر الذي يتيح لها فرصة المساهمة في حل كثير من القضايا الاجتماعية والسياسية المعقدة"(محمد حسين فضل الله، ٢٠٠٤ :٧٥-٧٧).

بعد ان أعلن فضل الله تصديه للمرجعية انطلق بمشروعه التجديدي، وكان يصرّح عن موقفه بشكل واضح من خلال إصداره للعديد من البيانات، وما يلقيه من خطب في المحافل الدينية و صلاة الجمعة، وما يصدر عنه من فتاوى، وصفها البعض من العلماء بأنها (مخالفة للمشهور)، أي أن من سبقه من العلماء لم يكن رأيهم بمثل ما أفتى به السيد فضل الله، ومنها على سبيل المثال.

- افتى فضل الله بعدم اشتراط الذكورة في مرجع التقليد وأجاز للمرأة ان تتبوأ المرجعية.
- افتى بعدم شرط الأعلمية في مرجع التقليد، منطلقا من أن تحديد الأعلمية ليس من الأمور السهلة، ويصعب تحديدها .
- تبنى فضل الله التبعيض في التقليد، أي أنه أجاز لمقلّديه الرجوع في كل من قضاياهم الدينية والاجتماعية والسياسية إلى أي فقيه يشاء.
- تبنى فضل الله فتوى طهارة الإنسان عموماً، سواء كان ذميّا أم لم يكن. منطلقا برأيه الاجتهادي في هذا المجال بقوله : "لا دليل عندنا بنجاسة الإنسان جسدياً" ، والنجاسة هي نجاسة الفكر، وهذا ما عنت به الآية الكريمة :"إنما المشركون نجس"(التوبة ٢٨)، وتَمثّل في تفسيرها بالنجاسة المعنوية، باعتبار أن الشرك يمثل قذارة فكرية لا يحترم فيها الإنسان عقله (حيدر حب الله، الإسلام بين وهَّم النخبوية وأزمة الجماهير، ٢٠١٤). وبهذه الفتوى ينفرد فضل الله في ذلك عمّن سبقه من العلماء ، الذين انقسم رأي البعض منهم بطهارة أهل

الكتاب ونجاسة غيرهم، والبعض الأخر قال بطهارة الموحدين، ونجاسة المشركين، بينما ذهب البعض إلى حصر الطهارة بالمسلمين فقط ، وما سواهم نجاسة(محمد عباس دهيني، المرجعية الرشيدة-جولة في حياة فضل الله وأعماله الفكرية والسياسية والاجتماعية، ٢٠١١). ومع ازدياد حالة الحمى الطائفية والمذهبية والعصبية التي يمر بها العالم العربي والإسلامي، انطلق صوت السيد فضل الله مدوياً، رافضا كل أشكال التفتيت والتقسيم ، وما كان يُبذر من بذور للشقاق واستنفار للعصبيات ، عدّها مشاريع يراد منها النيل من العرب والمسلمين، وآمن أن التصدي لها والعمل على إسقاطها لن يتم إلا بالوحدة، تلك الوحدة التي ترتفع عن الحدود المذهبية ، وتجتمع في بوتقة الإسلام الواحد.

شكلت الوحدة الاسلامية عند السيد فضل الله، هماً رسالياً، واجتماعياً، بحاجة خطة واضحة وموحدة، تؤكد التصور الواضح والحقيقي لعقيدة الإسلام، وشريعته، ومنهجه، وأساليبه، وأهدافه. وبلا شك أصبح الحديث عن الوحدة الإسلامية في حياة العاملين بصدق، تشكل الحُلم الكبير، ذلك لما تعانيه الأمة الإسلامية من مشاكل كبيرة، بسبب حالة التمزق وما يعيشه المسلمون من خصومات ومشاحنات، أدت بهم إلى المزيد من الضعف الاجتماعي والسياسي، والعسكري، والثقافي، وجعلت الشخصية الإسلامية تنقسم إلى شخصيات ثانوية متعددة، تتقوقع كل واحدة منها داخل اطار مغلق، وتعيش إسلامها ضمن دوائر تأريخيه ضيقة، ممّا جعل منها مستغرقة التفكير في الحالة الطائفية، بعيداً عن الشخصية الإسلامية المنفتحة، وهذا الانقسام هو من مكّن قوى الاستعمار والاستكبار العالمي من إخضاع بلاد المسلمين لأرادتها، مستغلين ومستخدمين نقطة الضعف هذه .(محمد حسن فضل الله، ٢٠١٣ :٧-٨).

أشار السيد فضل الله الى أن ما يعقد من مؤتمرات في العديد من دول العالم بشأن الوحدة الإسلامية، هي "مؤتمرات استعراضية" لا غير، داعياً من يرعى هذه المؤتمرات إلى إعادة تقييمها ومتابعتها، وذلك من خلال تشكيل لجان متابعة حقيقية، خاصة للعمل بتوصيات كل مؤتمر منها ، لكي يتم تحويلها إلى واقع ملموس من شأنه أن يرفع الأمة، ويحقق مطالبها في تضافر الجهود، وتوحيد الصفوف، ونبذ الخلافات لرأب الصدع، مؤكدا أن التسنّن ليس ديناً، كما ان التشيع ليس ديناً، بل إن التسنن والتشييع هما وجهتا نظر في فهم الإسلام، ويمكن لوجهتي النظر أن تتقاربا أو تتحدا (حسين علي المصطفى،٢٠١٣: ٦٠-٦١). كما حث على ضرورة معالجة ظاهرة التفكير بخصوص الوحدة الإسلامية، داعياً إلى دراسة المشكلة دراسة حقيقية، لوضع أفضل الوسائل والسبل للتعامل معها، ومحاورتها وترشيدها وتوجيهها، الأمر الذي دفعه الى السعي المحموم من اجل إشاعة روح الإسلام بشكل عملي وواقعي، من خلال فعالياته المتعددة وسط المجتمع، ومنع استخدام أي من أساليب الاستفزاز وما يثير الآخر، وعدّ السيد فضل الله سياسة السب والشتم واحدة من هذه الأساليب، التي عمل لمنعها وعدم الجواز بممارستها، واستخدامها في أي شكل من الأشكال، ورأى أن العديد من المشاكل السياسية باتت تسهم في زيادة حالة التوتر المذهبي، وتشعل فتيل الخلافات في أكثر من ساحة إسلامية وعربية، حيث دعا مراراً وتكراراً لحل تلك المشاكل كلا حسب طبيعتها، مؤكدا ضرورة التفريق بين الخلاف السياسي والمذهبي، لأن هناك

خلطا يحدث قد يؤدي بالمجتمعات إلى زيادة التعقيد، والتعميم للخلافات(حسين علي المصطفى،٢٠١٣ :٧٣-٧٤).

وفق هذا ظلال الخط الذي انتهجه فضل الله في محاولة منه لرأب الصدع، وردم الهوة بين الفرق الإسلامية المتخاصمة، أفتى بحرمة سب الصحابة وأمهات المسلمين، وبذا يكون من أوائل علماء الدين الذين صرحوا بذلك وبشكل واضح، مؤكداً على ضرورة الوقوف بوجه كل أساليب إثارة الفتن والحساسيات المذهبية، التي تعمل على تمزيق واقع المسلمين، وهي ما تمثل خدمة مجانية لأعداء الأمة الإسلامية، مؤمنا أن أسلوب السب يخالف منهج الخط الإسلامي الأصيل (محمد حسين فضل الله ، الوحدة الإسلامية ، ٢٠١٣).

لقد تعرض فضل الله وبسبب الكثير من فتاواه التي عُدّت مخالفة للمشهور، إلى كثير من الاستهداف ،والاتهام وبالطرق المختلفة، حتى وصل الحال عند البعض من المرجعيات ورجال الدين باتهامه بالضلال والانحراف، واتهمه البعض الأخر بالتقية، التي عدوها جزءا من عقيدته.

آمن فضل الله الذي بالحوار كان من الأولى أن يحاور قبل أن يُتهم بالضلال أو الانحراف، ولربما سيكون ذلك منهجا واضحا عند من لا يمتلك ثقافة الحوار وتقبّل الرأي الأخر، فهو وبكل تأكيد سيكون عقيماً بالرد والتقييم . أما بخصوص اتهامه بالتقية، فإن كل ما صدر عن فضل الله من فتاوى ومواقف وبيانات لقي قبولا ورواجا واسعا بين طبقات اجتماعية، ومذاهب إسلامية متعددة، حتى وصل المطبوع منها وحتى يومنا هذا الآلاف من الإصدارات، وهذا دليل بيّن على بطلان رأي من يتهمه بالتقية. ونرى أن السبب الحقيقي إزاء تلك الهجمات قد يعود إلى تزايد شعبية فضل الله، بفضل ما طرحه من آراء معتدلة انطلق بها للناس عامة ، والتي وجدت أحضانا لها بين الشباب والمستنيرين والاكاديميين من جهة، او بسبب تصديه للاستكبار والصهيونية والخرافة من جهة اخرى، وما لتلك الدوائر من وسائل اعلامية ونفوذ حاولت تشويه صورة فضل الله والتنكيل به.

ثانيا: التجديد الاجتماعي عند السيد محمد حسين فضل الله

يعد فضل الله من أنصار الإسلام الاجتماعي الذين يولون أهمية كبرى لقضايا المجتمع والأسرة، والعلاقات بين الناس، وقضايا المرأة، وقضايا الشباب، والمشاكل الاجتماعية، وهو من أبرز الشخصيات التي أطلقت حركة نقدية انطلقت من قضايا الواقع الاجتماعي (حيدر حب الله، حركة الإصلاح الاجتماعي الحقوقي امتداد للمشروع السياسي، ٢٠١٤). وقد أولى الملف الاجتماعي أهمية كبرى انعكس على إصداره مجموعة من المؤلفات الاجتماعية منها:

- **دنيا الطفل**: ركز فضل الله على أهمية التربية للأطفال لأهميتها في بناء الشخصية، منطلقا بحوار شامل من خلال فكر منفتح على الواقع العام، بعيدا عن السطحية والارتجالية.
- **دنيا الشباب**: تضمن هذا الكتاب حواراً شاملاً وجريئاً، أشار فيه فضل الله إلى ما يعنيه الشباب من مشكلات فيما يخص هذه المرحلة العمرية المحرجة، وتضمن في نهايته

مجموعة من التي الموضوعات أصدرها فضل الله بخصوص الشباب. أمّا ما كتبه عن المرأة فهي مجموعة كتب منها:

ـ **تأملات إسلامية حول المرأة**: سعى من خلال ما يطرحه في هذا الكتاب إلى إيجاد نظام حياتي يوائم المرأة الجديدة، التي تعيش إلى جانب الرجل الجديد في وعي الإسلام للجانب الإنساني في علاقتهما ببعضهما.

ـ **دنيا المرأة** : طرح فضل الله من خلاله نظرية معالجة حرية المرأة، وأهمية دورها في الحياة العامة.

ـ **المرأة بين واقعها وحقها في الاجتماع السياسي**: وهي سلسلة حوارات تتضمن حالة الظلم التاريخي الذي لحق بها وكيفية رفع الظلم عنها (محمد عباس دهيني، المرجعية الرشيدة- جولة في حياة فضل الله وأعماله الفكرية والسياسية والاجتماعية، ٢٠١١،)

تبوأت المرأة موقعاً مميزاً في الفكر الإنساني المعاصر، لأهمية دورها في الحياة العصرية، وإمكانية ما تقدمه المرأة من خدمة للمجتمع وبكافة الميادين والمجالات. وقريب من هذا رأى فضل الله أن مسألة اتهام الدين الإسلامي بانتهاكه حريات المرأة، أو ممارسته حاله من التمييز بينها وبين الرجل، قضية كبرى، يجب بل لزاماً على المفكرين والفقهاء إيضاحها بالكامل و بشكل مستمر، لضمان رد كل الشبهات، وإزالة الالتباسات التي عَلقت في أذهان البعض، وأكد على القيمة الإنسانية للمرأة، وأن قوة الرجل الجسمانية العضلية لا تعني أن الضعف قدر المرأة الذي لا مهرب منه، بل إن الواقع في التفاوت بين قيمة الرجل والمرأة، وكما هو واقع فعلا، أفرزته عوامل أخرى، ثقافية، واجتماعية، وسياسية، واقتصادية، وفكرية (محمد حسين فضل الله، ١٩٩٧: ١٣). موقناً أن ضعف المرأة في بعض المجتمعات لم يكن عائداً لطبيعتها الذاتية، بل إلى محيطها الاجتماعي والثقافي، الذي عزلها عن المشاركة في تقدمه، وأكد السيد فضل الله على ضرورة تعديل الاحكام الموروثة التي ورثتها المجتمعات تجاه المرأة ، بما يتناسب مع إنسانيتها، وبحسب الظروف والتطورات الاجتماعية المتسارعة التي يشهدها العالم. وبذلك الخصوص عمل السيد فضل الله على اخضاع العديد من الموروثات المنقولة من الأحاديث الدينية للنقد بحسب قربها أو بعدها من النص القرآني.

وفي ذلك كله عمل السيد فضل الله على مواكبة العالم في كل طروحاته الفكرية والاجتماعية والسياسية وغيرها، الأمر الذي دفعه لأن يكون له موقفاً واضحاً من هذه التطورات. ومن هذا بالطبع ـ وكما أشرنا إلى ذلك فيما سبق من السطور ـ قضية المرأة وضرورة تثبيت قيمتها الإنسانية ومكانتها المجتمعية، ليصدر السيد فضل الله في هذا الصدد فتاوى (حق الدفاع عن النفس)، وبالتزامن مع المؤتمرات التي تُعقد في العالم الخاصة بـ(مناهضة العنف ضد المرأة)، مجوزاً للمرأة الدفاع عن نفسها عندما لا تجد وسيلة لردع من يعتدي عليها بغير وجه حق، وعَّد ذلك من حقوقها الأساسية، مثلها في ذلك تماماً أي إنسان يملك حق الدفاع عن نفسه، اذا ما اعتدى عليه إنسان آخر، فللمرأة الحق في الدفاع عن نفسها اذا ما أراد زوجها أو أخوها أن يضربها دون وجه حق، وقد طلب السيد فضل الله من النساء أن يتدربن على الأخذ ببعض أسباب القوة، التي تتيح لهن الدفاع عن أنفسهن بمثل

هكذا حالات أو حالات أخرى، كالتحرش الجنسي أو الاغتصاب (منيف سبيتي وآخرون ،٢٠١١: ٥٣٨). ليبرز فضل الله بذلك أول رجل دين يرفض صراحة، بل ويدحض تلك المنطلقات التي تعتقد بتفوق الرجل على المرأة، من الناحيتين التكوينية، والتشريعية.

لم تقف مناصرة فضل الله للمرأة عند هذا الحد وحسب، بل لم يشترط تحقق الذكورة في قيام المرجع، وبالتالي فهو يذهب مع الرأي الذي لا يَحرمُ المرأة من أن تكون مرجعاً دينياً، معتقداً أن مسألة التقليد انطلقت من باب رجوع الجاهل إلى العالم، وبهذا رجوع إلى ثقافة العالم، وعلمه، وإدراكه، ووعيه، لا جنسه البيولوجي، إذ لا فرق عندهُ بين أن يكون ذكراً أو أنثى، ويردف فضل الله تلك المناصرة للمرأة بجواز إمامتها الصلاة بالنساء دون الرجال، كما وسجل السيد فضل الله اختلافه مع الكثير من العلماء بخصوص المرأة، خاصة أولئك الذين "يعتقدون بأن قوامة الرجل على المرأة مُطلقة"، والتي عدّها خلال مواقفه وفتاويه "قوامة مختصة بالأسرة"، دون أن تمتد إلى خارج حدودها (منيف سبيتي وآخرون ،٢٠١١: ٥٤٠-٥٤٢). حاول السيد فضل الله الانفتاح على العالم الخارجي، ومواكبة تطوراته الأمر الذي دعاه إلى إصدار العديد من المواقف والفتاوى التي تخص المرأة، للانفتاح منه على هذا العالم دون الاكتفاء بالتقوقع والانغلاق، التي ظلت عليه الثقافات والتقاليد الإسلامية وجعلت من المرأة أولى الضحايا.

أنتقد فضل الله العديد من الظواهر الاجتماعية التي تضر بالمجتمع، ومنها (مكبرات الصوت) في المساجد والجوامع والحسينيات، وما لهذه الظاهرة من ضرر على البيوت القريبة، اذ عَّد هذا السلوك مخالف للسلوك الحضاري الأمثل الذي يضمن حرية الآخر، واحترام خصوصيته، وكما طرح العديد من الحلول لمشكلات عديدة قائمة مثل الانحراف، والشذوذ الجنسي. فضلا عن التوجيهات التي كان يصدرها للشباب المغتربين وإلزامهم باحترام قوانين البلد الذي يستضيفهم، واحترام تقاليد تلك الشعوب وعاداتهم، لما يضمن حق الانسجام والحفاظ على التنوع الاجتماعي، وفي هذا الصدد أفتى فضل الله بحرمة الاحتيال على الأسواق والأموال العامة في البلاد الأجنبية التي يقطنها المسلمين، تحت ذرائع مختلفة، كجواز مال الكافر للمسلم، ويشدد فضل الله على أن يكون المسلم أمينا على أموال الناس كافة من المسلمين وغير المسلمين (أحمد أحمد عادل القاضي، ٢٠٠٩ : ٢٩١).

وبهذا الصدد أيضا وإيمانا منه في أهمية الطفل في التركيب الاجتماعي، بوصفه اللبنة الأساسية الأولى في المجتمع، وبصلاحه يصلح المجتمع، اطلق فضل الله آراءه واضحة، مؤكداً على ضرورة احترام الطفل، وضمان حقوقه المعنوية كما المادية منها، وضرورة اتباع أسلوب اللين والمعاملة الحسنى في تربية الطفل، والابتعاد عن وسائل القوة والتعنيف الجسدي، حتى لو كان الهدف منها إصلاح الطفل وتشذيب سلوكه، لهذا أفتى بحرمه ضرب التلميذ في المدرسة إلا بإذن من ولي أمره وموافقته، على أن يكون ذلك في أفق ضيق، وبحالات مهمة تستوجب ردع بعض السلوكيات المنحرفة التي قد تصدر منه، على أن لا يصل ذلك التعنيف إلى حد الإيذاء أو الإدماء (أحمد أحمد عادل القاضي، ٢٠٠٩ : ٢٩١).

وهكذا سعى فضل الله من خلال مرجعيته الدينية وأفكاره التجديدية إلى اجتهادات ورؤى وحلول سعت لملامسة قضايا الواقع الديني والاجتماعي ومعالجة ما فيه من جوانب سلبية، لتحدث تغييراً ملموساً في الوعي الاسلامي العام في البلدان الاسلامية.

الخلاصة والتوصيات:

من خلال البحث والدراسة يمكن أن تبرز أهم الاستنتاجات في فكر ومواقف التجديد عند السيد محمد حسين فضل الله تجاه المتجمع وهي كما يلي:

١- إن المنهج الفكري الذي تبناه فضل الله اتسم بكونه تجديداً يعبر عن حاجات المرحلة ومستلزمات الواقع .

٢- كان في آرائه وأفكاره وفتاويه استجابة لنبض الواقع، إذ كان منهمكاً في معالجة القضايا الدينية والاجتماعية، راصداً مكامن الخلل والعلل، واضعاً المبادئ الأساسية لمعالجتها، وإيجاد الحلول المناسبة والناجعة لها.

٣- آمن فضل الله بالحوار وطرح جميع الموضوعات على طاولة النقاش، دون الإيمان بقدسية الآراء التي سبقته من بعض العلماء.

٤- تميز فضل الله بالجرأة في طرح المواضيع الدينية والاجتماعية، وإصداره فتاوى مخالفة للمشهور، مسجلاً اعتراضه في ذلك على باقي العلماء.

٥- اهتم فضل الله كثيرا بوحدة المجتمع، وعدها جزء مهم في بناء المجتمع الصالح واعتبر ذلك من صميم العمل الإسلامي.

٦- تصديه للعديد من العادات الاجتماعية التي تخص المجتمع والأسرة، والطفل ، والشباب، خاصة تلك التي خشي العلماء من قبله الخوض بها، محاولاً ايجاد الحلول المناسبة لها.

٧- سبق السيد فضل الله العديد من العلماء بتحريم السب والشتم للصحابة وأمهات المؤمنين وصرح بذلك بإطلاق الفتاوى بشكل واضح، مؤكداً على ضرورة الوقوف بوجه كل أساليب إثارة الفتن والحساسيات المذهبية، التي تعمل على تمزيق واقع المسلمين، وهي ما تمثل خدمة مجانية لأعداء الأمة الإسلامية.

المصادر والمراجع

١- أحمد أحمد عادل القاضي، *دنيا الشباب: تجربة العلامة فضل الله*، دار الملاك، لبنان، ٢٠٠٩.

٢- أسامة البصري، المؤسسة الدينية بين ثوابت الماضي وضرورات الحاضر، *مجلة الفكر الجديد*، العدد (٦)، دار السلام، لندن، ١٩٩٣.

٣- إسماعيل خليل، *السيد فضل الله شاعراً*، ط ١، دار الملاك، لبنان، ٢٠٠٣.

٤- حسن إبراهيم شبر، *تاريخ العراق السياسي المعاصر*، ج ٣، قم المقدسة، ١٤٢٣هـ.

٥- حسين علي المصطفى، *حق الاختلاف في اطار الوحدة* ، ط ٣، المركز الإسلامي الثقافي، لبنان، ٢٠١٣.

٦- حسين علي مصطفى حق *الاختلاف في اطار الوحدة* ، ط٣، المركز الاسلامي الثقافي، لبنان، ٢٠١٣.
٧- حيدر حب الله، محمد حسين فضل الله *معالم نهضة وسياقات مشروع إصلاحي* ، الموقع الرسمي للشيخ حيدر حب الله، تاريخ النشر ٢٠١٤/٥/١٢، www.hobbllah.com.
٨- سليم الحسني، *المعالم الجديدة للمرجعية الشيعية*، ، ط٤، دار الملاك، لبنان، ١٩٩٨.
٩- سليم الحسني، *صراع الإرادات- دراسة في الفكر الحركي للسيد محمد حسين فضل الله* ، ط ٢، دار الملاك، لبنان، ١٩٩٥.
١٠- شبلي الملاط، *تجديد الفقه الإسلامي.. محمد باقر الصدر بين النجف وشيعة العالم*، ترجمة: غسان غصن، دار النهار، لبنان، ١٩٨٨.
١١- علي حسن سرور، *العلامة فضل الله تحدي الممنوع* ، ط ٢، دار الملاك، لبنان، ٢٠٠٤.
١٢- غسان بن جدو، *خطاب الإسلاميين والمستقبل* ، ط٣، دار الملاك، لبنان، ٢٠٠١.
١٣- فريد الأنصاري، *أبجديات البحث في العلوم الشرعية*، منشورات الفرقان، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٩٧.
١٤- محمد الغروي، *من علماء النجف الأشرف* ،محمد الحسيني ، ج ٢، مؤسسة المعارف، لبنان، ٢٠٠٨.
١٥- محمد جلاء إدريس ، *مناهج البحث العلمي: نظريا وتطبيقيا*، الجامعة الإسلامية العالمية، (١٩٩٨).
١٦- محمد حسن فضل الله، *الوحدة الإسلامية خطوات نحو التطبيق*، ط١، المركز الإسلامي الثقافي، لبنان، ٢٠١٣.
١٧- محمد حسين فضل الله، *الحركة الإسلامية هموم وقضايا* ، ط ٤، دار الملاك، لبنان، ٢٠٠١.
١٨- محمد حسين فضل الله، *تأملات إسلامية حول المرأة*، ط٦، دار الملاك، لبنان ، ١٩٩٧.
١٩- محمد طاهر الحسيني، *محمد باقر الصدر.. حياة حافلة وفكر خلاق*، دار النهار، لبنان، ١٩٩٩.
٢٠- محمد عباس دهيني، *المرجعية الرشيدة- جولة في حياة فضل الله وأعماله الفكرية والسياسية والاجتماعية*، الموقع الرسمي للشيخ محمد عباس دهيني ،٢٠١١.
٢١- منيف سبيتي وآخرون، *وداع السيد*، المركز الإسلامية الثقافي، بيروت، ٢٠١١.
٢٢- نجيب مروة، *مرجعية المرحلة وغبار التغيير*، ط ١، دار أمجاد، لبنان، ١٩٩٨.
٢٣- نزار محمد جودة، *الفكر السياسي عند السيد فضل الله* ، ط ١، مركز ابن إدريس الحلي، النجف الأشرف، ٢٠١١.